

الاقلية . نهذه الاقلية قد ولدت بين ليلة وضحاها (جديدة) وكانت لغاية ١٩٤٨ هي الاكثرية المطلقة في البلاد ، وهذه الاقلية مرتبطة عنصرا ولفة وعادات وشسورا بأقلية ساحقة من العرب الذين يحيطون باسرائيل ويمتدون من المحيط الى الخليج ، والتي لا تزال اسرائيل معها في حالة صراع وعداء . اضف الى ذلك الجزء الاعظم من تلك الاقلية — الشعب الفلسطيني — الذي هو الضحية الاولى لاسرائيل ، والذي لا تزال اتاره تهاذ البلاد . عامل آخر يميز هذه الاقلية هو كونها اقلية مبتورة ، نخبتها المثقفة والسياسية ملردت من البلاد عام ١٩٤٨ ، وهي تعيش في الريف منذ حرب ١٩٤٨ بلا قيادة ثقافية وسياسية في المدن كحيفا ويافا ومقطوعة العلاقات بمواصم البلدان العربية حيث كانت تشكل لهم سابقا معينا ثقافيا كبيرا . هذا السبب بالذات جعل هذه الاقلية نهبا مقسما لجميع احزاب الدولة والمتزعين فيها ، وعندما قامت طليعة من الشباب القومي (الارض) لارجاع الاوضاع الى اصولها ، وتجميع تلك الاقلية على اساس قومي ، وضورها في بوتقة وطنية واحدة لتستطيع الوقوف بنجاح امام تحديات السلطات الاسرائيلية ، واجهت قوى عاتية يطمع كل منها في الابقاء على غنيته وكل منها اتوى من الاخر ، وهي الاحزاب الصهيونية والاحزاب غير الصهيونية (الشيوعية) والزعامة العميلة للسلطات . من جهة اخرى ، العرب الفلسطينيون هم جزء من الامة العربية . وهذا الشعور ازداد حرارة وكثافة مع امتداد الحركة القومية العربية التي جعلت من القضية الفلسطينية احدى تضاميا الامة المصرية الملحة ومحور السياسات العربية في العالم ، واحدى اهم لوحات المسرح السياسي العربي في ربع القرن الاخير . بينما يجب الانغفل في الجانب الاخر ، الى جانب الموازين السياسية ، الاشياء السلبية التي كانت تعمل هي الاتجاه الاخر ،^٥ ففي كثير من الاحيان كانت الاقلية العربية في اسرائيل تسمح ان الفلسطينيين لا يعاملون معاملة حسنة في كثير من الامكنة حيث حلوا بها لاجئين . كما كانت لقاءات الشباب العربي في اسرائيل مع عرب الخارج تقابل بالبرود واحيانا بالشك . ومن السلبية الاولى نستطيع ان نفهم سبب هذا الاحتفال الداخلي بحركة المقاومة الفلسطينية اول ما ظهرت بشانها عام ١٩٦٥ . لقد اعتقدوا صادقين ان الشعب الفلسطيني الان قد وضع في الامطار الصحيح من الصورة : طليعة

للامة العربية في التحرير . واما السلبية الثانية ، فلقد كان ما يبررها الى حد ما عند العرب الاخرين ، فالخوف من هذا الاتصال كان يقوم على شقين : (ا) اذا كان العربي مسؤولا فقد كان يخاف من ان يكون العربي مسن اسرائيل مدسوسا عليه . (ب) واذا كان انسانا عاديا كان يخاف من سلطات بلاده بان تنتهه بان له علاقة مع عربي قد يكون جاسوسا لاسرائيل . على أنه بين هذا وذاك كان التصرف يتضمن كثيرا من التزمت والسخف . فلم يسمع قط عن عربي في اسرائيل — بقطع النظر عن بعض العباء في الداخل — انه دخل الى البلاد العربية بقصد التجسس على العرب ، بينما بالعكس ، القي القبض على جواسيس من البلاد العربية يعملون لصالح اسرائيل والقي القبض على مئات من الشباب من اسرائيل بتهمة مساعدة الدول العربية .

ان كون هذه الاقلية اقلية ريفية ، تجعل العرب في اسرائيل في صداقة حيية مع الارض يرجع تاريخها الى تاريخ وجودهم عليها . وفي المجتمعات الريفية تكون ملكية الارض هي المجددة للسلطة والامن (سلطة العائلة وامنها) . فالانسان الذي يحوز على ثروة نقدية في الريف يدخرها في شراء الاراضي وبشكل مشابه فان بيع الارض في الريف يجسد الفقر وضياع الهيبة والاحترام . وحتى العائلات التي توقفت عن العمل بالزراعة نتيجة لصادرة الحكومة لاملاكها ، لم تترك منطقة تأثير التقاليد القروية المريقة ، وكلما ازدادت ثقافة الشاب العربي كلما عبر عن تدله وتعلق وحب اكثر بالارض . هذا الارتباط الفردي او العائلي بين العرب في «اسرائيل» وبين الارض انتقل في حالات كثيرة الى ارتباط جماعي . فالتمسك بالارض ، التي هي ثروة وطنية عربية ، قلب حقيقة بقائهم في فلسطين ، بالرغم من حرب ١٩٤٨ ، من ارتباط وتمسك فردي عادي الى غاية قومية مقدسة . في الادب العربي في اسرائيل خلال العشرين سنة الماضية ، كانت هنالك رموز قوية لمدي ارتباط الارض والزرع بالوطن . فالشجرة في الشعر رمز لغارس هرب وتركها وراءه ، يعيش في المنافي على أمل العودة الى ظلالها ، او لانسان مات وهو يدافع عنها ، او لانسان ما زال يعيش قريبا منها ولكن يراها مسببة مسحوبة من جدائلها تحت نعال المحتل ، والصخرة في الحقل كعبة مقدسة لان نائرا ما صلى عليها . وحرب ١٩٤٨ هي التي